

بسم الله الرحمن الرحيم

الموال في الغناء العربي

للدكتور صالح المهدي

من المعروف أن أصل الغناء في أول العصر العربي كان مرتجلا على المقام معين وهو لا يتجاوز البيت الواحد من الشعر وفد طور مسلم بن محرز بن المكي تلميذ ابن سريج في أول العهد الأموي الغنائ فصيره يعتمد زوجا من الشعر واقتدى به اغلب المغنين بعده مؤكدا أن البيت الواحد لا يتم به اللحن ومن ذلك جاء الدو بيت المستعمل في المشرق العربي والاسلامي وفي النوبة المغربية تحت اسم "البتان" وفي النوبة التونسية باسم "رمي الابيات" وهما في القرن الماضي بواسطة الجمعية الراشدية .

ومن كلمات هذه القطعة في المغرب :

وقائلة خلّ الهوى لرجاله فان الهوى بعد المشيب جنون

فقلت لها ان الهوى فيه راحتى ألدّ الكرى عند الصباح يكون

وفي تونس فابيات نوبة الخضراء التي لحنها الشيخ خميس الترزان بمناسبة العيد الاول للاستقلال سنة 1957 والتي هي من تأليف الشيخ طاهر القصار فهي :

يا من بأندلس يتيه غراما ويذوب في روض العريف هياما

دع عنك ذكراه فخضراء الربى تهب الحياة سعادة و سلاما

واستعمل الارتجال الغنائي على أحد ايقاعيهما (رباعي وسداسي) وسمي الصوت في الجزيرة العربية عامة وهو الذي ركز عليه أبو الفرج الصفهاني درسته للمقامات في كتاب الاغاني ويقال أن الصوت نشأ بحضرموت ثم انتقل الى بلدان الخليج على يد الفنان عبد الرحمن العسيري الذي انتقل للبحرين حيث تخرج عليه مجموعة من الفنانين في مقدّمهم محمد بن فارس وتتلّمذ على هذا الاخير صاحي بن وليد والمطرب القطري خيرى بن ادريس وقد تعرفت على المطرب الكويتي المرحوم عوض دوخي وهو أحسن من أدى الصوت في عصرنا استمعت اليه يغني :

جلا في الكاس جاليا الهموم وقام يمشي بالقدم القويم

وكثيرا ما يختم الصوت بكلمات يظريف الطول مثلما جاء في البيت الموالي :

يا ظريف الطول لا تصبح بخيل راقب الله في الذي يبتغي هواك
كما أدركنا المرحوم حسن جاوه المكي يغني صوتا على قصد الخليفة الاموي اليزيد بن معاوية
الذي طالعه :

نالت على يدها ما لم تتله يدي نقشا على معصم أوهت به كبدي
ويختم الصوت بلحن مثبت على مقام الراسم مع التزام القفلة في الجواب وبذلك فالموال
ماهو الا استمرار للارتجال الغنائية العربية القديمة .
وما يترتبط بها من قواعد مخارج تلك الحروف غير عابئين بالتصرف في النغم وتشكيل
الجمال الغنائية التي ترسخ بالممارسة وتصبح عفوية إذا التفكير فيها يعتبر إساءة لا صالة
التجويد القرآني وما يراد به من تقرب للخالق عزّ وجلّ .
ومن المؤسف أننا أدركنا من يلحن الموال والجمال اللحنية التي يجود عليها بعض
المقرئين رحمهم الله وغفر لهم هذه الاساءة للفن وللتجويد .

الموال

أصل العبارة الموليا يقال ان أول من نطق به أهل واسط وهي مدينة بناها الحجاج بن
يوسف الثقفي سنة 82 هجرية وجعلها دار الامارة وقد اعتمد هذا الخبر محمد بن اسماعيل
شهاب الدين المتوفى سنة 1214 هجرية 1857 في كتابه "سفينة الملك" المنشور بمصر سنة
1842 وقال : إن اول من نطق بالموال أهل واسط و أول بيت منه :

منازل كنت فيها بعد بعدك درس

خراب لا يصلح بها لا العزاء ولا العرس

فأين عينيك تنظر كيف فيها الفرس

تحكم وألسنة المدّاح فيها خرس

وذكر السيوطي في شرح الموشح النحوي أن هارون الرشيد لما قتل الراكمة وأولهم وزيره جعفر
أمر بأن لا يقع رثاؤه بشعر فرثته جاريتها المحببة دنانير بقولها :

يا دار أين ملوك الارض أين الفرس أين الذين حموها بالقنا والترس

تراهم ربما تحت الاراضي الدرس سكوت بعد الفصاحة ألسنتهم خرس

وقد كانت تغني هذين البيتين وهي تبكي وتردد بعد كل مقطع : يا مواليا يا مواليا" ، ومن ذلك
سمي المواليا ثم تغير وأصبح الموال الذي يغني مسبوقا بترديد كلامتي (ياليل يا عين) باعتبار
أن الليل نتذكر فيه الاحبة والعين هي سبب العشق وقيل (أصل الهوى نظرة) وقيل في التراث
الاندلسي لا شك عيني أصل السبب والفاصلة .

والموال ثلاثة أنواع

1/ رباعي ويقوم على أربعة أشطر مثل شعر :

وحقي يا بدر تغريبك وتغريبني
لا تتبع النفس تجري بك وتجري بي
خل المقادير تجري بك وتجري بي
وتتظر الناس تجري بك وتجري بي

2/ النوع الثاني هو الاعرج ويتكون من خمسة أشطر

3/ أما الثالث فيشتمل على سبعة أشطر ويعرف بالنعمانى

وقد اشتهر الموال في العراق وفي مصر وتألّق بغنائه المطرب الشهير عبد الحى حلمي ومن موالاته :

في دولة الحسن أنت الواحد المفرد
شفتك عرفت الهوى صبحتي مفرد
يا بهجة الروح في بعدنا تسعد
وتترك الحب يلعب في شمال ويمين
فاسمح وواصل واخل مغرمك يسعد

وفي الجزائر تدل كلمة موال على مقام لم يبقى من نوبته سوى قطعة واحدة من نوع

الانصراف

وفي كل قطر عربي يوجد شعر عامي يغني على غير إيقاع مثل الموال المصري ومن

ذلك في الاندلس قول ابن قزّامن الاندلسي :

لم يعط الله حد ما أعطى لك
لس في النساء زينة بحالك
ثلاثة في الخلقة من خصالك
بيضة ونقية ووفية

ونلاحظ أن الثلاثة أشطر الأولى تنفق في القافية فيما تخالفها الشطرة الرابعة الأخيرة وقد ألف المغنون المتجولون المعروفون بالتروبادور " في فرنسا في القرون الوسطى وقد قال بعضهم أن هذا الاسم مأخوذ من العربية وهو في الاصل "الطرب يدور" وهم مجموعة من المغنين الروم يتجولون في شمال اسبانيا وفي فرنسا يقيمون الحفلات العمومية في ساحات المدن والقرى وغناءهم يجري على نمط زجل بن قزّامن المذكور باعتبار ان القافية تجري على ترتيب أ،أ،أ، ثم ب.

ومن قطعهم :

Plus chantar m'es pres talens
farai u nvers don sur dolens
non sarai mais obediens
de peytan ni de kieneozi

والمعنى : إني يا رفاقي احيا حياة مرحلة كل أيام حياتي وأنا محق في ذلك أنني أعيش فرحا دون هموم لان الحب اتاح لي أن أعشق .

وعلى هذا النحو الفت قطعة الابودية في العراق ويرتجل غناؤها مثل الموال فيها جناس بحيث يتركب من ثلاثة أشطر بقافية متتحدة بينما تكون قافية اشطر الرابع بحرف الياء تليه الهاء ساكنة ومنه

تري لجلك نبيع العين بالعين مدام العين ويا عين بالعين
عين العين حامي العين بالعين لجل "عيناك" أثر مرض به

وقد استمعت ترديدها مرات من الصديق المرحوم الاستاذ محمد القبائجي عميد مغني العراق ويقوم بادائها اثر غنائها للمقام على شعر فصيح وتسجيلاته العديدة تثبت ذلك .
وكما أسلفت فان هذا النوع من الارتجال يعرف في الجزائر بالاستخبار وفي تونس بالعروبي وهو على خلاف العتابي أو المجانة في المشرق من حيث تنوع مقاماته .
والارتجال انتاج فوري للعازف أو المغني يبرز من خلاله مدى تمكنه من المقامات والتصرف فيها على درجاتها أو مصورة على غير درجاتها ومن أبرز المخاطر التي تضعف الارتجال وتقضي عليه ان يحفظ الفنان ارتجالاته غيره فيصبح مقيدا باعادة ما حفظه . ومن المخاطر أيضا ان يسجل المغني أو العازف ارتجالاته فاذا ما كرر الاستماع اليها تفيد بها وأضاع مقدرته على الارتجال على المقام الذي ارتجل عليه ولذا يحسن بالمغني أن يغير غناء الموال او ما شبهه على مقامات مختلفة حتى لا يرتبط بلحن ارتجال معين .

ومن أكبر عيوب الارتجال ان يقوم الفنان بتلحين مولاته ثم يؤديها وبذلك نبعد عن الارتجال وتضيع متعة الحوار الروحي الذي يحدث بين المؤدي وجمهوره ويضمحلّ الطرب المنشود الذي يجعل السامع يتأوّه له ويذكر اسم الله عزّوجلّ حمداً له على نعمة الاستماع والاستمتاع الذين يرفعان الانسان عن النظرة المادية الصرف وعن الانانية الحيوانية ويغرسان فيه حب الخير لجميع الناس ويقويان فيه الايمان ليطبق ما روي عن الرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام : لا يكون أحدكم مؤمناً حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه .

ونورد فيما يلي أغنية من نوع "الفونديو" اسمها مأخوذ من أحسن أنواع الالماظ لعلو مكانتها الفنية الشعبية وهي تشتمل على ستة عروبيات متنوعة لمقامات بين راست الذيل على نوعية ومحير العراق (نياشبور) ومحير السيكاه (نوع من النهوند) والعرضاوي (راست بدوي) والمزموم (ماهور) بينما الابيات التي تتخللها تتحد مع المذهب في راست الذيل وتبدأ بكلمة مأخوذة من آخر العروبي السابق عنها كما يلي :

1- العروبي :

يحدث على العبد ساعات شي الذي لا يوالم
بنادم يقرأ العقويات تبعد عليه المظالم
حكرت ووزنت الاوقات لاحد من حد سالم

فاخذ البيت كلمته الاولى من آخر كلمة من العربي فصار :

سلم تتجي ووزن كلامك في مثل السنجة
محال نصبر على فراق الغنجة وفراقها ما كانشي في بالي
وفيما يلي النص الكامل للقطعة وهي على وزن المدور حوزي

فوند وعتيق في مقام راست الذيل
العين تنحب من فراق غزالي
عروبي راست الذيل

فراق الحيا يذبل الوح
نكي والقلب مجروح
يا عين بالدمع نوحى
من يوم فارقت روحى

المذهب

العين تنحب من فراق غزالي
عروبي راست الذيل
حتى منام الليل ما يحلالي

ما نرقد الليل مختار
في كبدي تشعل النار
هاجت علي النكيده
كما محرقه في حصيده
على ولفتي سيم الانظار
رحلت على غير ريده

البيت الاول

رحلو بيها
لو كان صابت حكمها لديها
سود الميامي مذبله عينيها
ما تطيق ساعة على فراق خيالي

عروبي محير عراق

يحدث ع العبد ساعات
بنادم يقرأ العقوبات
شي الذي لا يوالم
تبعد عليه المظالم
لاحد من حد سالم
حركت ووزنت لوقات

البيت الثاني

سلم تتجى
محال نصبر على فراق الغنجه
ووزن كلامك في مثيل السنجه
رحلت وخشت في فوجج الخلي

عروبي محير سيكاء

فراق الحيا مر وصعب
لوجب ما لقيتش طبيب
خلي دموعي تقاظر
بير على الجرح شاطر
ما تنس م الخواطر
فرقة بلاموجعة عيب

البيت الثالث

ما ننساها اللي تهت بحبها وهواها
كانت بجنبي كل يوم نراها وراقها ما كانشي في بالي

عروبي عرضاوي

رحلت علي وغابت وخشت فجوج الخلية
وكبد من الوحش ذابت الايام طالت علي
تتفكرنيش ثابت في غيبتني يا بنية

البيت الرابع

بعد الغيبة مايفقد الانسان كان حبيبه
جرح الحديد لقت ليه طبيبه وجرح المحبه ضامني واسالي

عروبي مزوموم

لا يام عديتهم مرض سبب مرضتي الغيبينه
مكشي جهامه على لرض في وسط سوق المدينة
خايف من لكة العرض وشماتة الناس فينا

البيت الخامس

بتنا اصبحنا باري كلام الناس لا يفضحنا
بقيتها بالخير وتصالحنا ونساعد وليام كيف توالي